العمارة في النص الإسلامي (أولا : النص القراني)

أ.د. احمد جبار عبد موسى¹

م.م. رؤى طالب عبد جواد²

ملخص البحث:

يهدف بحثنا الموسوم (العمارة في النص الإسلامي) (أولا : في القرآن الكريم) إلى استكشاف مفهوم العمران في القرآن الكريم، الذي يتجاوز البعد المادي الملموس (كبناء المدن والهندسة وعمارة القصور) ليشمل الجوانب الاجتماعية والأخلاقية والروحية، مستنديين إلى المبادئ الأساسية في تفسير القرآن الكريم وطرق الاستنباط الصحيحة والبعيدة عن الغلو والتنتع، مع افراد كل جانب من جوانب العمران بالايضاح والشرح غير المسهب ولا المخل. مع الحرص الشديد على الامانة العلمية في نسبة كل قول تم نقله من مصدر او عالم الى قائله .

الكلمات المفتاحية: العمارة ، الهندسة ، النص ، الاستخلاف

1- كلية العلوم الاسلامية - جامعة ذي قار

2- مديرية تربية ذي قار - قسم التعليم المهني

Research Summary

Our research, titled "Architecture in Islamic Texts," aims to explore the concept of urbanism in the Holy Quran, which transcends the tangible physical dimension (such as city building, engineering, and palace architecture) to encompass social, moral, and spiritual aspects. We draw on the fundamental principles of Quranic interpretation and sound deduction methods, free from exaggeration and exaggeration. We provide each aspect of urbanism with clarification and explanation, without being exhaustive or deficient. We also strive for academic integrity in attributing each statement transmitted from a source or scholar to its author.

key words : Succession , architecture, Engineering , Text

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

يقول محمد حمزة صاحب كتاب (المجلد في الآثار والحضارة الإسلامية) كانت العمارة الإسلامية و لا تزال تحتل مكانة مرموقة بين طراز العمارة التي عرفتها الحضارة الإنسانية العامة، فمن جهة، أضافت العمارة الإسلامية إلى التراث المعماري العالمي نظما تخطيطية جديدة كالمساجد والمدارس و الزوايا، و من جهة أخرى أدخلت على نظم العمارة الجنائزية و المدنية و الحربية أنظمة جديدة لجعلت لها طابعا فريدا مميزا، و ما "تاج محل" بالهند و"طوبقابي سرا" بإسطنبول بتركيا و قصر "الحمراء" بغرناطة بإسبانيا، إلا خير شواهد مادية حية باقية تكفي للتدليل على ذلك¹.

فالعمارة الإسلامية والتي اخذت حيزا واسعا من النص الإسلامي تحتل مكانا مهما بل والمقام الأسمى بين جميع أنواع العماائر الحضارية في شتى بقاع الارض . ويرجع ذلك لكثرة النصوص التي تهتم بالعمارة والبناء والحث على استعمار الارض واصلاحها بكل ما من شأنه ان يخدم الانسان ، وبعد التوكل على الله تعالى شرعنا في كتابة هذا البحث الذي يسلط الضوء على العلاقة الوطيدة بين العمارة والنص الإسلامي الشريف فكان بحثنا هذا مكونا من مقدمة وخاتمة وعدة مباحث وهي مرتبة حسب ما ساذكرة في محتويات البحث . واسأل الله تعالى ان يجعل عملنا هذا متقبلا عنده والحمد لله رب العالمين .

أهمية البحث :

- هناك عدة امور تحدد اهمية بحثنا الموسوم (العمارة في النص الإسلامي) وهي:
- 1- إن البحث في الحقائق العلمية ومنها (ال عمران والهندسة) التي ذكرت في القرآن الكريم، والتي أثبت العلم الحديث صدقها واعجازها، يقوي الإيمان ويدعو إلى التأمل في عظمة الله تعالى.
  - 2- التركيز على معاجز القرآن الكريم ومنها معجزة عمران هو بالحقيقة رد على الفائلين ببشرية القرآن الكريم وانه من كلام محمد (صلى الله عليه واله وسلم) كما يزعمون .
  - 3- الدراسات والبحوث التي تحاول استخراج بعض المفاهيم والعلوم المعاصرة من القرآن الكريم هي بالحقيقة تشجع على التدبر والتأمل في آيات القرآن الكريم، وفهم أسراره ومعانيه العميقة، مما يقود إلى زيادة الإيمان واليقين. قال تعالى (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۗ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء: ٨٢)
  - 4- ان ابراز هذه المفاهيم العلمية والعمرائية بشكل خاص يثير اهتمام غير المسلمين ويقدم لهم أدلة ملموسة على صدق هذا الدين. وبالتالي فهو احد وسائل الدعوة لله تعالى .

والحمد لله رب العالمين

المبحث الاول / تعريف العمارة

اولا : العمارة في اللغة .

(العين والميم والراء) أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على بقاء وامتداد زمان ، والآخر على شيء يعلو ، من صوت أو غيره(2) و العمائر: جمع عمارة أو عمارة، أي عمارة الأرض، و هي فوق البطن من القبائل أولها الشعب ثم القبيلة ثم البطن ثم الفخذ³. و ما يعمر به المكان⁴، فقله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾⁵، أي بيت في السماء معمور بالملائكة⁶.

و تعني أيضا السكن في موطن ما بصورة دائمة، و العمل على إقامة بنيان هذا السكن و تأهيله، و العمل على تقدمه و ازدهاره⁷.

و قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾⁸، أي أذن لكم في عمارتها، وجعلكم عمارا تعمرونها و تستغلونها⁹، أي كلفكم بعمارتها بالحق و العدل و العمل الصالح¹⁰.

ومن الباب عمارة الأرض ، يقال عمر الناس الأرض عمارة ، وهم يعمرونها ، وهي عامرة معمورة . وقولهم : عامرة ، محمول على عمرت الأرض ، والمعمورة من عمرت. والاسم والمصدر العمران : واستعمر الله - تعالى - الناس في الأرض ليعمروها . والباب كله يؤول إلى هذا .

وأما الآخر فالعمورة : الصياح والجلبة . ويقال : اعتمر الرجل ، إذا أهل بعمرته ، وذلك رفعه صوته بالتلبية للعمرة . فأما قول ابن أحرر :

يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر

فقال قوم : هو الذي ذكرناه من رفع الصوت عند الإلهال بالعمرة . وقال قوم : المعتمر: المعتم . وأي ذلك كان فهو من العلو والارتفاع على ما ذكرنا . قال أهل اللغة : والعمار : كل شيء جعلته على رأسك ، من عمامة ، أو قلنسوة أو إكليل أو تاج ، أو غير ذلك ، كله عمار . قال الأعشى :

فلما أتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا عمارا⁽¹¹⁾

قال الراغب الاصفهاني "العمارة: نقيض الخراب: يقال: عمّر أرضه: يعمّرها عمارة. قال تعالى: ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾⁽¹²⁾، يقال: عمّرتُه فعمّرتُ فهو مَعْمُورٌ. قال: ﴿وَعَمَّرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَّرُوهَا﴾ (الروم:9)، ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ (الطور:4)، وأعمّرتُه الأرض واستعمّرتُه: إذا فوّضت إليه العمارة، قال: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:61) والعمّر والعمّرتُ: اسم لمدّة عمارة البدن بالحياة، فهو دون البقاء، فإذا قيل: طال عمّره، فمعناه: عمّارة بدنه بروحه، وإذا قيل: بقاؤه فليس يقتضي ذلك، فإنّ البقاء ضدّ الفناء، ولفضل البقاء على العمر وصف الله به، وقلّما وصف بالعمر، والتعمير: إعطاء العمر بالفعل، أو بالقول على سبيل الدّعاء." ⁽¹³⁾

ثانيا في الاصطلاح :

العمارة منشأة مؤلفة من كتلة و فراغات تقوم باستيعاب نشاط إنساني كالإسكان والعبادة و العمل والدفاع، وشروطها المتانة والراحة¹⁴.

إنّ العمارة هي: فنّ من الفنون والتي تقتضي الاستعمال الصّحيح للكتل المجمّعة والأشياء، واتّخاذ ذلك سبيلاً للوصول إلى شكل نهائي يرتضي له الذوق، والعمارة أيضاً هي: أدبٌ وعلمٌ وفنٌ يُعرف به كيفية التّحكّم بعناصر البيئة الأساسية، من الأرض والرياح والشمس وما يتعلق بهذه العناصر من مكّونات كالتربة والحجارة والهواء

والرطوبة والحديد والخشب والحرارة والضوء وغير ذلك، للوصول باستخدام هذه العناصر إلى أفضل قيمة معمارية⁽¹⁵⁾

ويصف ابن خلدون العمران بأنه التساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات، لما في طباعهم من التعاون على المعاش، و من هذا العمران ما يكون بدويا و هو الذي يكون في الضواحي و الجبال و القفار و أطراف الرمال، و منه ما يكون حضريا، و هو الذي بالأمصار و :: القرى والمدن...¹⁶.

وقال الشيخ علال الفاسي: "والمقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع"⁽¹⁷⁾

و يجعل ابن خلدون للعمران عمرا محسوسا كالأشخاص بقوله:"و العمران كله من بدواة و حضارة و ملك و سوقة "الرعية" له عمر محسوس، كما أن للشخص عمرا محسوسا، وتبين في المعقول و المنقول أن الأربعين سنة للإنسان غاية في تزايد قواه و نموها". كما يربط ابن خلدون العمران بـ"المدنية" في الباب الأول من "المقدمة": "...أن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: (الإنسان مدني بالطبع) أي لا بد له من الاجتماع الذي هو "المدنية" في اصطلاحهم وهو معنى العمران¹⁸.

المبحث الثاني : الابداع في تصوير العمران والترغيب فيه في القرآن الكريم .

ان عمارة الأرض تأخذ صوراً شتى؛ فهي تشمل الزراعة، والصناعة، واستخراج ما في باطنها من كنوز وثروات، كذلك تشمل أعمال العقل في كلِّ ما يفيد هذه البشرية وتلك الإنسانية، فيحاول هذا الإنسان - بما أعطاه الله تعالى من عقل وعلم - أن يحوّل

الصحراء القاحلة إلى أرض خضراء ممتلئة بالزروع والثمار، كذلك عليه أن يسبح في الفضاء ليستكشف ما به من أسرار، ويعرف ما يفيدته ليفعله، وما يضره ليتجنبه، كل ذلك في إطار من التواضع لله تعالى، وعدم العجب والغرور بهذا العقل الذي قد يجر صاحبه إلى الدمار والهلاك، ليس له وحده، ولكن للكون كله بما فيه؛ قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (19)(20)

فيمكن استقراء الايات في القرآن الكريم والتي تشير إلى العمارة والبناء، فمنها ما يتعلق بقصص الأمم السابقة أو تشبيهات تُذكر لأغراض وعظية ، او تصوير فني دقيق لنعمة من نعم الله التي اعطاه للانسان في جانب العمران والبناء . إليك بعض الآيات التي تُذكر فيها جوانب من العمارة أو البناء ومنها :

1. قصة ذي القرنين وبناء السد، حيث وصف الله تعالى لبناء السد الذي تم بناؤه من الحديد والنحاس لمنع ضرر يأجوج ومأجوج. فقال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ (21)

2. قوم ثمود ونحتهم الجبال فوصفهم الله تعالى في سورة الاعراف بقوله عز وجل : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ (22)

3. طلب فرعون من وزيره بناء صرح عالٍ لمواجهة دعوة موسى عليه السلام، فقال

تعالى في سورة القصص : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي

فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾⁽²³⁾

4 . الإشارة الى بناء الكعبة المشرفة ورفع قواعدها من قبل انبياء الله تعالى إبراهيم

وابنه إسماعيل عليهما السلام فقال عزوجل : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ

وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽²⁴⁾ وهناك صور كثيرة ذكرها القرآن

الكريم توضح الاهتمام بذكر العمارة والبناء

المبحث الثالث : عمارة الانسان هي هدف القرآن الاول .

تقويم الانسان وعمرانه هو الهدف الاول للاديان عموما وللقران خصوصا فبناء الانسان

فكرا وعقيدة وسلوكا هو الاساس لبناء الحياة الكريمة الصالحة وهو مقصد سماوي

سامي ، فيعتبر الشاطبي الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والعقل

والمال. "التي هي أسس العمران المرعية في كل ملة، والتي لولاها لم تجر مصالح

الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة في الآخرة"⁽²⁵⁾

فيقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾⁽²⁶⁾

وجاء قوله تعالى في سورة النور : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾⁽²⁷⁾

ويقول مالك بن نبي: فلا حضارة إنسانية إلا بهذه المنظومة الثلاثية: إنسان (كينونة

وزمان) وفكر (عقيدة وثقافة) وأشياء (التراب ورأس المال وشتى العوامل المادية)⁽²⁸⁾

ومالك بن نبي منهجه هو البحث عن الأسباب العميقة الموروثة والمعطلة للحركة والنهوض ، وقد استطاع كذلك أن يشخص حالة العالم العربي الإسلامي اليوم ومرضه على أنها حالة اللاحضارة واللائقافية أي الضياع والنتيه .

وألح بشدة على أن التغيير الايجابي يبدأ من الفرد ” الإنسان ” الذي هو نواة المجتمع ، ولذلك نجده يبرز أهمية الفرد . الإنسان . حيث يبدأ بتغيير نفسه من داخلها قبل أن يغير الأشياء التي تحيط به تطبيقاً للآية القرآنية الكريمة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ ” (29)

وبذلك يتغير المجتمع برمته إذا الإنسان ما بداخله وجاءت مقولة مالك بن نبي “غير نفسك تغير التاريخ“ (30)

فالقران الكريم يحرص على عمران الانسان روحيا ليحصل التوافق والاضطراد ما بين العمران الروحي والعمران المادي ، فيوصينا تعالى بالآخذ بوصايا القران الكريم كقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (31)

فيعلق صاحب تفسير الظلال: فهم ثابتون على البذل ، ماضون على النهج ، لا تغييرهم السراء ولا تغييرهم الضراء . السراء لا تبطريهم فتلهيهم . والضراء لا تضجرهم فتنتسيهم . إنما هو الشعور بالواجب في كل حال ؛ والتحرر من الشح والحرص ؛ ومراقبة الله وتقواه . . وما يدفع النفس الشحيحة بطبعها ، المحبة للمال ببطرتها . . ما يدفع النفس إلى الإنفاق في كل حال ، إلا دافع أقوى من شهوة المال ، وربقة الحرص ، وثقله

الشح . دافع التقوى . ذلك الشعور اللطيف العميق ، الذي تشف به الروح وتخلص ، وتتطلق من القيود والأغلال⁽³²⁾

المبحث الرابع : العمران عند الامم السابقة .

ان للجانب العمران حيزا واضحا في تناول القرآن الكريم لقصص الامم السابقة فيصف احيانا الامم بحضارتهم ومبانيهم العمرانية ويربط ذلك بسلوكهم وما الت اليه احوالهم بسبب افعالهم ، كما في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾⁽³³⁾

وذات العماد أي: ذات الخيام المعمدة، لأنهم كانوا أهل عمد ينتجعون الغيوث وينتقلون إلى الكلا حيث كان، ثم يرجعون إلى منازلهم في الأحقاف في حضرموت⁽³⁴⁾ وقال ابن كثير { ذات العماد } لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد⁽³⁵⁾

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾⁽³⁶⁾ يقول: وبنمود الذين خرقوا الصخر ودخلوه فاتخذوه بيوتا، كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾⁽³⁷⁾ والعرب تقول: جاب فلان الفلاة يجوبها جوبا: إذا دخلها وقطعها⁽³⁸⁾

وقال ابن كثير اي : يقطعون الصخر بالوادي . قال ابن عباس : ينحتونها ويخرقونها . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد . ومنه يقال : " مجتابي النمار " . إذا خرقوها ، واجتاب الثوب : إذا فتحه . ومنه الجيب أيضا . وقال الله تعالى : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾⁽³⁹⁾⁽⁴⁰⁾

والمراد بثمود: القبيلة المسماة بهذا الاسم، نسبة إلى جدها ثمود، وقد أرسل الله-تبارك وتعالى- إليهم نبيهم صالحا- عليه السلام- فكذبوه، فأهلكهم الله-تبارك وتعالى- وكانت مساكنهم بين الشام والحجاز، وما زالت معروفة حتى الآن باسم قرى صالح. وقوله: جابوا بمعنى قطعوا. من الجواب بمعنى القطع والخرق، والصخرة الحجارة العظيمة. والواد: اسم للأرض المنخفضة بين مكانين مرتفعين، وكان هؤلاء القوم يقطعون الصخور من الجبال، ليتخذوا منها بيوتهم بواديهم، أى: بالمكان الذي كانوا يسكنونه.

فقوله: بالواد علم بالغلبة للمكان الذي كانوا يسكنون فيه، ويسمى بوادي القرى، وقد قال-تبارك وتعالى- في شأنهم: **وَتَنجِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ** (41) فالقران الكريم يؤكد على براعة وذكاء ما قاموا به من مبان ومنشآت حتى اصبح جمال عمارتهم لا يضاهيه اي جمال فمثلا نرى في ملازمة واقتران الاعمدة مع مدينة ارم في قوله تعالى ﴿ ارم ذات العماد ﴾ تدل على خصوصية قوم عاد في استخدام اسلوب البناء الهيكلية (بالاعمدة) وهذه دلالة على ان قوم عاد هم اول من جاء بفكرة البناء الهيكلية ، حيث ان الاعمدة اهم ما كانت تتصف به مدينة ارم وهذه الصفة ليس لها مثل في بلدان اخرى .

واما بالنسبة لقوم (ثمود) فهم اول من جاء بفن النحت الذي يمثل احد عناصر العمارة الراقية حيث عملية قطع الصخور من الجبال لصنع بيت في جوفها هو امر ليس بالسهل في ذلك الزمان ، بل وحتى في وقتنا الراهن رغم التطور التكنولوجي ، فكيف والامر كان مع قوم ثمود والاساليب البدائية التي كانت تتوافر لديهم انذاك ، ولذلك اراد الله تعالى تاكيد عظيم ماقام به قوم ثمود وفي الوقت نفسه تاكيد عظم قدرته جل وعلا

بأن لا عاصم لامره ، ونرى عظمة الابداع وفن العمارة التي تصورهت الايات القرانية الكريمة كانت تدور ضمن المحيط العربي (42)

المبحث الخامس : العمارة والبيئة .

اشار القران الكريم في اكثر من موقع الى الترابط بين كفاءة المبنى والبيئة التي وجد فيها سواء كان التصوير لمباني الدنيا او الآخرة ، فيقول الله تعالى في وصف مساكن قوم سبأ ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ (43)

تشبيهه ببلغ ، أي في مساكنهم شبيه جنتين في أنه مغترس أشجاراً ذات ثمر متصل بعضها ببعض مثل ما يعرف من حال الجنات ، وتثنية جنتين باعتبار أن ما على يمين السائر كجنة ، وما على يساره كجنة .

وقيل : كان لكل رجل منهم في مسكنه ، ، أي داره ، ، جنتان جنة عن يمين المسكن وجنة عن شماله فكانوا يتقيؤون ظلالهما في الصباح والمساء ويجتتون ثمارهما من نخيل وأعناب وغيرها ، فيكون معنى التركيب على التوزيع ، أي : لكل مسكن جنتان (44)

قال سيد قطب: وهذه الجنان عن اليمين والشمال رمز لذلك الخصب والوفرة والرخاء والمتاع الجميل ، ومن ثم كانت آية تذكر بالمنعم الوهاب (45) فالتمثل بهذا الوصف يلاحظ الدور الكبير للبيئة في جمالية العمران وطيب العيش في هذه المساكن ، فالعلاقة وطيدة بين البيئة والعمارة وفي هذه العلاقة يكمن سر النجاح ، وعليه فلا بد من اختيار البيئة وجودتها قبل البدء في مرحلة العمارة .

والاختيار عادة يكون مراعاة للعناصر البيئية كالظل والمناخ والطبيعة فيذكر الله تعالى عنصر الظل بقوله عزوجل: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْلِمُونَ ﴾ (46)

الظلال : كل ما يستظل به من البيوت والشجر . وقوله مما خلق يعم جميع الأشخاص المظلة (47)

ويقول الطبري : ومن نعمة الله عليكم أيها الناس أن جعل لكم مما خلق من الأشجار وغيرها ظلالا تستظلون بها من شدة الحر ، وهي جمع ظل (48)

فالظل هو من نعم الله ومنه العظيمة على الانسان والتي يجب ان لاتغفل في العمارة والبناء ، وقد امتن الله عزوجل على عباده في الجنة بقوله تعالى : ﴿ وَظِلٌّ مَمْدُودٌ * وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ ﴾ (49)

(وظل ممدود) ، وفيه وجوه كما قال الرازي في تفسيره :

الأول : ممدود زمانا ، أي لا زوال له فهو دائم ، كما قال تعالى : (أكلها دائم وظلها) (50) أي كذلك .

الثاني : ممدود مكانا ، أي يقع على شيء كبير ويستتره من بقعة الجنة .

الثالث : المراد ممدود أي منبسط ، كما قال تعالى : (والأرض مددناها) (51) فإن قيل

: كيف يكون الوجه الثاني ؟ نقول : الظل قد يكون مرتفعا ، فإن الشمس إذا كانت

تحت الأرض يقع ظلها في الجو فيتراكم الظل فيسود وجه الأرض وإذا كانت على أحد

جانبيها قريبة من الأفق ينبسط على وجه الأرض فيضيء الجو ولا يسخن وجه

الأرض، فيكون في غاية الطيبة ، فقوله : (وظل ممدود) أي عند قيامه عمودا على

الأرض كالظل بالليل ، وعلى هذا فالظل ليس ظل الأشجار بل ظل يخلقه الله تعالى
(52)

ثم يصرح القرآن الكريم بأهمية انتقاء مكان العمران بشكل من خلاله يمكن الاستفادة من مواهب الطبيعة والبيئة فيقول جل وعلا : ﴿ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْتَحِبُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَادْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۖ ﴾ (53)

قيل إنهم كانوا يسكنون الجبال في الشتاء لما في البيوت المنحوتة من القوة التي لا تؤثر فيها الأمطار والعواصف، ولما فيها من الدفاء .

أما في غير الشتاء فكانوا يسكنون السهول لأجل الزراعة والعمل ومن التعبير القرآني نلمح أثر النعمة والتمكين في الأرض لقوم صالح، وندرك طبيعة الموقع الذي كانوا يعيشون فيه، فهو سهل وجبل، يتخذون في السهل القصور، وينحتون في الجبال البيوت، فهم في حضارة عمرانية واضحة المعالم، ولذا نجد صالح- عليه السلام- يكرر عليهم التذكير بشكر النعم فيقول: فَادْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (54)

وفي هذه الآية دليل على أن بناء القصور ليس بمنكر وأن البناء الطائل غير مؤثر في عبادة العبادين . إذ أنه من المحال أن ينكرهم آلاء الله في شيء بنيانه معصية .

وقد قال : (فَادْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) ولو كان بناء القصور منكرا لكان داخلا في الفساد لا في الآلاء (55)

ونستنتج من النصوص القرآنية المتقدمة ان هناك التفاتة لطيفة لمواد البناء التي تستخدم

في انشاء المساكن وعلاقتها بالبيئة فعندما يقول الله تعالى : ﴿ وَتَنْتَحِبُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾ (56)

فهنا استخدموا الجبال كمادة لبناء المساكن ،حيث محاكاة البيئة التي هم فيها ، والمناخ الذي يكون في تلك الاماكن .

اما المناطق السهلية فيكون البناء فيها مختلفا عن الجبلية فيقول عز وجل ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا ﴾⁽⁵⁷⁾

في حين تكون مباني الصحراء مما هو من جنس البيئة حيث يقول تعالى ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾⁽⁵⁸⁾

والله سبحانه جعل لكم من بيوتكم التي تبنونها من الحجر وغيره استقرارا وراحة، وجعل لكم من جلود الإبل والبقر والغنم خياما وقبابا في البادية مثل بيوت الحضر، يخف عليكم حملها في ترحالكم من مكان لآخر، ويسهل نصبها وقت نزولكم، وجعل لكم من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار المعز أثانا لبيوتكم وأكسية وأغطية تتمتعون بها إلى زمن محدد⁽⁵⁹⁾

ومن ظاهر هذه النصوص القرآنية الشريفة يتضح لنا ان قوم صالح كانت لهم حضارة تتصف بالفخامة والعمران ، علما انه من بداية التاريخ أصبحت العمارة فنا وعلما يتطلب دراسة هندسية واهتماما جماليا، ظهر ذلك في العمارات الأولى في مصر القديمة وبلاد الرافدين⁶⁰. اما بالنسبة للعمارة الاسلامية فقد ساهمت في نشأتها وتطورها عدة عوامل دينية وبيئية واقتصادية وسياسية تكاد تكون متشابهة في جميع أقطار العالم الإسلامي، مما زاد في توثيق روابطها، وأفضى على الطراز الإسلامي طابعه العام الذي يتسم به، وهو طابع الوحدة الظاهرة التي لا مجال لإنكارها رغم احتفاظ كل قطر بطابع محلي مميز له وخاص به⁽⁶¹⁾

الخاتمة ::

اهم النتائج التي توصلنا لها من خلال بحثنا هي :

- 1- مفهوم العمران في القرآن لم يقتصر على البناء المادي، بل يشمل العمران الروحي والاجتماعي، كالايمان بالقيم الاسلامية العبادي والاخلاقية .
- 2- علاقة البيئة مع العمران حيث اهتم القرآن الكريم بمراعاة البيئة في البناء، مثل: استخدام مواد طبيعية مثل الحديد والنحاس والصخور، كما في قوم ثمود الذين نحتوا الجبال (62) وسد ذي القرنين (63) استخدم مواد مثل الحديد والنحاس لإنشاء بنية تحمي من الأخطار، مما يعكس مفاهيم هندسية متقدمة. وايضا ما ذكر من قصة اصحاب الكهف(64) وكيف وصف الله تعالى الكهف وعلاقته بالبيئة من خلال حركة الشمس مما يجعله نموذجا للعمارة البيئية.
- 3- ذكر دمار الأمم السابقة كعاد و ثمود وتدمير قصورهم وقراهم هو للعبرة حيث اصابهم الغرور المادي(65)

((المصادر))

القران الكريم

- 1- المجلد في الآثار و الحضارة الإسلامية، محمد حمزة اسماعيل الحداد ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006،
- 2- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ط2، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، بيروت، 2006،
- 3- العمران في مقدمة بن خلدون لسعيد محمد رعد ، دار طلاس للدراسات للدراسات و الترجمة و النشر، ط1، سوريا، دمشق، 1985،
- 4- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي : دار الفكر، ط1، سوريا، 1984،
- 5- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل أبو القاسم الزمخشري: ، دار المعرف، بيروت، لسان العرب
- 6- معجم مقاييس اللغة
- 7- المفردات في غريب القرآن، - الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت، دار القلم الدار الشامية، 1412هـ،
- 8- العمارة و المعاصرة، عفيف البهتسي : دار الشرق للنشر، دمشق، 2005
- 9- العمارة الإسلامية خصائص وآثار، لاحمد السراج ، فلسطين غزة . 2015م
- 10- هندسة وعمارة بغداد في كتب التاريخ الاسلامي .د.احمد جبار ، م. رؤى طالب
- 11- مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، لبنان - بيروت - ساحة رياض الصلاح 1992 م

- 12- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، الفاسي، علال (المتوفى 1394هـ)، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الخامسة، 1993م
- 13- الثقافة و مآسي رجالها، محمد عبد الكريم الجزائري، شركة الشهاب، الجزائر
- 14- عمارة الأرض واجب إنساني لكمال عبد المنعم موقع شبكة الالوكة
- 15- الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت 790 هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان _ الناشر: دار ابن عفان _ الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م
- 16- ميلاد مجتمع، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت 1393هـ) الناشر: دار الفكر - الجزائر / دار الفكر دمشق - سورية الطبعة: الثالثة، 1406 هـ - 1986م
- 17- إشكالية السياسة والأخلاق عند مالك بن نبي (الجزء 4) عزالدين معزة
<https://akhbarelwatane.dz/%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%82-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%83-%D8%A8%D9%86-%D9%86/>
- 18- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385 هـ) الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ
- 19- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332 هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ

- 20- جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة
- 21- الجامع لأحكام القرآن • أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) • دار الكتب المصرية القاهرة - الطبعة الثانية 1964م تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش
- 22- التحرير والتنوير [تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد] المؤلف: محمد الطاهر ابن عاشور الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
- 23- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ - ١٩٩٨ م
- 24- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ
- 25- التفسير الوسيط ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
- 26- التفسير المختصر ، لمجموعة من العلماء ، الناشر: مركز تفسير للدراسات القرآنية ، بتاريخ 2016
- 27- العمران والعمارة في القرآن الكريم لمريم حسين السادة الناشر: مكتبة الاسرة العربي 2023 م الطبعة الاولى

- 28- العمارة العربية في مصر الإسلامية، شافعي فريد ، عصر الولاية، القاهرة، 1980،
- 29- عوامل دراسات في الآثار الإسلامية، فكري أحمد، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، القاهرة 1979م
- 30- نُكَّت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ، محمد بن علي الكرجي، المعروف بالقصاب [ت قريبا من ٣٦٠ هـ] الناشر: دار ابن القيم بالدمام - دار ابن عفان بالقاهرة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
- 31- لسان العرب، لابن منظور الطبعة الثالثة ، دار صادر، بيروت، لبنان 1994

الهوامش

- 1 - المجلد في الآثار و الحضارة الإسلامية لمحمد حمزة الحداد، 485
- 2- معجم مقاييس اللغة لابن فارس 140/4
- 3- لسان العرب لابن منظور 280/4
- 4 - المصدر السابق 4/ 278.
- 5 - سورة الطور : الآيتين 4 ، 5.
- 6- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير 218.
- 7- العمران في مقدمة بن خلدون سعيد محمد رعد 27
- 8- سورة هود : الآية 61.
- 9 - ينظر ابن كثير 3/ 84
- 10- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي 26، تفسير ابن كثير، 3/ 85

- 11 معجم مقاييس اللغة 4/ 141
- 12 التوبة: 19
- 13 المفردات في غريب القرآن للراغب 586.
- 14 العمارة و المعاصرة، عفيف البهتسي 7
- 15 العمارة الإسلامية خصائص وآثار، ص 12. بتصرّف. نقلًا من بحثنا الموسوم هندسة وعمارة بغداد في كتب التاريخ الاسلامي .
- 16 مقدمة ابن خلدون ص 56.
- 17 الفاسي، علال (المتوفى 1394هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الخامسة، 1993م، ص 45-46.
- 18- المصدر نفسه 57.
- 19 يونس: 24
- 20 عمارة الأرض واجب إنساني لكامل عبد المنعم موقع شبكة الالوكة
- 21 الكهف 96-94
- 22 الأعراف 74
- 23 القصص 38
- 24 البقرة 127
- 25 الموافقات للشاطبي 5/1
- 26 النحل: 97
- 27 النور: 55
- 28 ميلاد مجتمع لمالك بن نبي 29
- 29 الرعد 11

³⁰ إشكالية السياسة والأخلاق عند مالك بن نبي (الجزء 4) عزالدين معزة

<https://akhbarelwatane.dz/%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%82-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%83-%D8%A8%D9%86-%D9%86/>

³¹ ال عمران 133-134

³² في ظلال القرآن لسيد قطب 1 / 475

³³ الفجر 6- 7

³⁴ تفسير القاسمي محمد جمال الدين القاسمي 17/6147

³⁵ تفسير ابن كثير 542/4

³⁶ الفجر 9

³⁷ الحجر 82

³⁸ تفسير الطبري 593

³⁹ الشعراء : 149

⁴⁰ تفسير ابن كثير 542/4

⁴¹ التفسير الوسيط للواحدى 478/4

⁴² العمران والعمارة في القرآن الكريم لمريم حسين السادة ص 75، وهي بدورها اخذت النص بتصريف

من التنمية المستدامة وابداع تخطيط المعمار في القرآن للشماح ص122

⁴³ سبأ 15

⁴⁴ التحرير والتنوير لابن عاشور 166/23

⁴⁵ في ظلال القرآن 290/5

⁴⁶ النحل 81

- 47 تفسير القرطبي 145/10
- 48 تفسير الطبري 270/17
- 49 الواقعة 30 - 31
- 50 الرد : 35
- 51 الحجر : 19
- 52 التفسير الكبير للرازي 144/29
- 53 الاعراف 74
- 54 الوسيط للطنطاوي 309/5
- 55 نُكِّتَ القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ، محمد بن علي الكرجي، المعروف بالْقَصَاب [ت قريبا من ٣٦٠ هـ] الناشر: دار ابن القيم بالدمام - دار ابن عفان بالقاهرة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م 433 /1
- 56 الشعراء 149
- 57 الاعراف 74
- 58 النحل 81
- 59 التفسير المختصر 318 لمجموعة من العلماء ، الناشر: مركز تفسير للدراسات القرآنية ، بتاريخ 2016
- 60 - العمارة و المعاصرة، عفيف البهتسي 7
- 61 - شافعي فريد : العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاية، القاهرة، 1980، ص- ص 231- 292، فكري أحمد: عوامل دراسات في الآثار الإسلامية، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، القاهرة 1979، ص 1- 7.
- 62 كما في قوله تعالى (وَادْكُرُوا إِنْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَتَّخِذُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) الاعراف 74.

63 كما في قوله تعالى (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انثُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) [الكهف: 95-97].

64 قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۗ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۗ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [سورة الكهف: 17]

65 كما في قوله تعالى : ﴿ أَتَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ (الشعراء: 128)